



الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا

هيرة ذاتية أدبية علمية

ولد الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا في (١٧/٩/١٣٣٨هـ، الموافق ١٩٢٠/٦/٤م) في بلدة أريحا شمال سورية، وتجرع اليتيم وهو لا يزال برعما في شهره الرابع، ونشأ في كنف جده خطيب البلدة ومعلمها؛ فمالت مسامعه آيات القرآن الكريم مذكاً بالمهذب... فسالت الفصحى على لسانه وهو يجبو إلى الدنيا، فما جرت العامية على فمه أبداً.

﴿قصته مع النحو:﴾

لقد علمه جده مبادئ النحو وهو في الخامسة من عمره، وكان الجد فخورا بنباهة حفيده ونجابته... فكان يفاخر به أمام أقرانه بذكائه وفطنته.



يمان عبد الرحمن الباشا - سورية



مدينة أريحا السورية مسقط رأس الباشا



الشيخ حسن خاتيب مفتي الجمهورية الإسلامية
يتوسط الباشا والأستاذ فيمير هارويش



الباشا مع عمر بهاء الدين الأميري

مني أن أسقيه شربة ماء؛ فلما هممت أن أفعل كسرت
الإناء وكان ثميناً؛ فكانت تلك الثالثة الأثافي.
وانصرف الشيخ إلى حديثه وهو لا يعلم أي أمر
اجترح حين فاجأني بالأسئلة من غير مقدمات... وحين
كلفني ما لا أطيق...

وقد ذكر الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا قصته
مع النحو في كتابه فن الامتحانات بين الطالب والمعلم،
قال:

«كنت أحبو نحو السادسة من عمري على ما أعتقد،
وكنيت أحياناً في كنف جد من أهل العلم، فكان -طيب الله
ثراه- يأخذني بالتعليم والتثقيف أنا فأنا، وكان مما
علمنيه شيء من مبادئ النحو؛ ظن لحبه لي ولصغر
سني أنها كثيرة علي، وظننت لجهلي وقلة خبرتي أنها
غاية.

وانطلق بي ذات ليلة إلى دار كبير أسرتنا وعالم
البلدة وشيخها وهو رجل مهيب الحضرة، سديد
السلطة، حاد المزاج. توقره الخاصة، وترهبه العامة...
وكان قاضي البلدة ومفتيها، وحلال خصومتها؛ يوم كان
الناس إذا تنازعوا في أمر ردوه إلى الله ورسوله.

وجعل الرجلان يتجادبان أطراف الحديث، وجعلت
أتلهى بما في البيت من أثاث، فقال جدي للشيخ: هذا
ولدك عبد الرحمن قد أتقن القراءة وأصبح جيداً في
النحو... ثم أطراني بعض الإطراء...

فالتفت إلي الشيخ، وقال لي من غير مقدمات:

أعرب قوله تعالى: الحمد لله رب العالمين...

فتزل طلبه علي نزول الصاعقة، ونظرت إليه ساهماً
واجماً، فما كنت أظن أن القرآن يعرب، وما كنت أعرف
من الإعراب إلا تلك الأمثلة المتداولة، ولما وجدني لا
أجيب؛ أردف يسألني:

الحمد: أهى اسم أم فعل؟

قلم أجب بحرف واحد، فالأفعال معروفة لدي،
والأسماء عندي هي زيد، وخالد، وكتاب، ونحوها مما
يدل على مسميات محسوسة... أما الحمد هذه؛ فما
وردت لي على بال قبل اليوم؛ فما هي عندي بفعل، ولا
هي اسم أيضاً.

ورماني الرجل بنظرة قاسية، ثم ما لبث أن طلب



الباشا مع بعض زملائه في حديقة الجامعة



الباشا مع الأساتذة أمين الخولي وزملائه



الباشا في آخر خروج له من جامعة القاهرة

الكتب الظاهرية المنبثقة عن المجمع العلمي العربي في دمشق، وأستاذًا محاضرًا في كلية الآداب في جامعة دمشق. وقد عهد إليه خلال عمله في سوريا بتأليف كتب النحو والقراءة للمرحلتين الإعدادية والثانوية. وشارك في وضع مناهج التعليم أيام الوحدة بين سورية ومصر، كما أن روايته التاريخية «أرض البطولات» كانت مقررًا في الجمهورية العربية المتحدة (١٩٥٨-١٩٦١م، سنوات الوحدة بين سورية ومصر).

«في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية:

ثم يمم وجهه شطر المملكة العربية السعودية سنة ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م بعد أن ضاق به المقام، ونبا به المنزل

ولا يدري أي عقدة يمكن أن يصنع بي حين جعل السؤال أكبر من المسؤول، وحكم على الإنسان كله من خلال جزئية صغيرة.

وما كنت أعلم يومها أنني سأكون على مدى الحياة معلمًا ومتعلماً... وأنتي سأبقى على الدوام ممتحنًا أو ممتحنًا، وأنه سيوكل إلي في يوم من الأيام الإشراف على إعداد أسئلة الامتحانات العامة في بلادي بضع سنين...

وأشهد الله أنني ما وضعت سؤالًا في امتحان، أو نظرت في سؤال وضعه غيري؛ إلا قمزت في ذهني صورة الامتحان الأول، وحرصت على أن أوائم بين الامتحان والممتحن؛ حتى لا أرهق الآخرين كما أرهقت، ولا أكلفهم فوق ما يطيقون كما كلفت، ولا أحكم عليهم حكمًا جائرًا كما حكم علي.

«تعليمه العام والمتخصص:

تلقى الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا دراسته الابتدائية في بلدته أريحا؛ بعد أن تعهده جده -طيب الله ثراه- بالتعليم والتثقيف، ثم تخرج في المدرسة الخسروية بحلب، وهي أقدم مدرسة شرعية رسمية في سورية... أما دراسته الجامعية فتلقاها في القاهرة؛ حيث نال الشهادة العالية لكلية أصول الدين في الأزهر المعمور (١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م)، وشهادة الليسانس أيضًا في الأدب العربي من كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول (١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م)، ثم شهادة الماجستير (١٣٨٥/٧/٢٤هـ، الموافق ١٧/١١/١٩٦٥م)، والدكتوراه (١٣٨٨/٦/١٩هـ، الموافق ١٢/٩/١٩٦٨م) من هذه الجامعة التي أطلق عليها فيما بعد اسم جامعة القاهرة.

«عمله في التربية والتعليم:

اشتغل -رحمه الله- مدرسو للغة العربية في ثانويات حلب، ثم مفتشًا للغة العربية في وزارة التربية والتعليم، ثم رئيسًا لمفتشي اللغة العربية في سورية، ثم مديرًا لدار



دار الكتب الظاهرية بدمشق



المدرسة الخسروية بحلب



جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض

عليها شرفة المجاهد سعد الله الجابري في مدينة حلب، فاجتمع فيها حشد غفير متماسك؛ فعملت السلطات الفرنسية على منعهم من التكلم أو الهتاف... فما كان من الفتى عبد الرحمن إلا أن طلب من رفاقه أن يرفعوه على الأكتاف، وأطلق لصوته العنان ينشد بيتين من شعر علي بن الجهم:

قالت: حبست، فقلت: ليس بضائري

حبسي، وأي مهند لا يغمد

والحبس ما لم تغشه لئدية

شنعاء نعم المنزل المتورد

وارتجل كلمة شحذت همم الجمع، وألتهبت الحماسة فيهم، وما إن انتهى من خطبته حتى غاص بين الجموع، فضعاف في خضم هذا الجمهور الفقير.

في سورية، وعمل مدرسا في كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية «الرئاسة العامة للكتابات والمعاهد العلمية سابقا»؛ وقد شغل منصب رئيس قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي، وكان عضوا في المجلس العلمي في الجامعة منذ أن وجد، وعهد إليه بلجنة البحث والنشر في الجامعة ذاتها، ولقد أسهم -رحمه الله- إسهاما كبيرا في تطوير مناهج الدراسة في المملكة العربية السعودية، وقامت وزارة المعارف بوضع كتابيه صور من حياة الصحابة وصور من حياة التابعين ضمن مقررات المرحلتين المتوسطة والثانوية، كما عهد إليه بتأليف كتب النحو للمعاهد العلمية، وإقرار مادة البحوث في كلية اللغة العربية التي امتد عمله بها إلى اثنين وعشرين عاما.

«شجاعته وجهاده ضد المستعمر الفرنسي»

لقد عاصر الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا -رحمه الله- زمن الاحتلال العسكري للعالم العربي... ففي يفاعته كان القطر السوري يزرع تحت وطأة الاحتلال الفرنسي، وكان الشعب العربي في سورية يناضل نضالا مرا قاسيا للظفر بحريته واستنقاذ وطنه، وكانت فرنسا تتكل بأحرار البلاد، وتدفع بزعماء الأمة ومثقفها وشبابها وطلابها إلى أعماق السجون، أو تنفيهم بعيدا عن الوطن.

وكان له مواقف ضد هذا المستعمر؛ كانت بدايتها عندما وافقت الحكومة الفرنسية على عودة الزعيم المجاهد سعد الله الجابري من منفاه؛ بعد أن أخذت العهد بأن لا يحركوا ساكنا، وأن يكون استقبال المجاهد على أضييق نطاق...

فكان -رحمه الله- من الذين أسهموا في تحويل هذه المناسبة إلى شرارة تذكي لهيب الجهاد ضد المستعمر، فعملوا على تسريب الجموع من الحواري والأزقة المتفرعة واحدا أثر آخر؛ لتصب في الساحة التي تطل



دفاعه عن لغة القرآن الكريم:

لقد أمضى الدكتور عبد الرحمن حياته العملية منذ بدايتها مكافحا ومنافحا عن لغة القرآن... داعيا إلى فن أدبي لا يكتفي بجمال التعبير وإبداع التصوير؛ وإنما يشترط فيه أن يكون ممثلا هادفا نافعا في وقت معا... فن أدبي إسلامي يلتزم أمام إله متصف بصفات الكمال كلها، منزّه عن صفات النقص جميعها... ويكون بسماته هذه مفايرا للتيارات الأدبية الأخرى التي تلتزم أمام النفوس البشرية الأمارّة بالسوء.

عمله في التأسيس للدعوة إلى الأدب الإسلامي:

ومع أنه -رحمه الله- لم يكن هو أول من دعا إلى إيجاد هذا الأدب، فقد سبقه إلى ذلك كثير من المفكرين، وهو -رحمه الله- يعترف بذلك ويقر بالفضل لأهله... لكنه استطاع أن يجعل أمانتي أولئك العلماء حقيقة واقعة...

فقد سعى -رحمه الله- لإيجاد عمل موسوعي يخدم الأدب الإسلامي، ويكون له بمثابة الخلفية التاريخية، والقاعدة الصلبة التي ينهض عليها بناؤه؛ ليساعد الدارسين في معرفة هذا الأدب، ودراسة خصائصه، ورصد موضوعاته... ومن هنا ظهرت فكرة موسوعة أدب الدعوة الإسلامية التي تبنتها كلية اللغة العربية بالرياض، وأشرف عليها بنفسه -رحمه الله- حيث كانت نتاج مادة البحث لطلبة السنة النهائية بكلية اللغة العربية، وصدر منها ستة أسفار:

- ١- شعر الدعوة الإسلامية في عصر النبوة والخلفاء الراشدين. إعداد عبد الله حامد الحامد ١٣٩١هـ / ١٩٧١م.
- ٢- شعر الدعوة الإسلامية في العصر الأموي. إعداد عبد العزيز محمد الزير، ومحمد بن عبد الله الأطرم ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م.

وقد شاع هذان البيتان بعد ذلك بين الناس، وأصبحت أحد الشعارات التي رفعها المجاهدون في وجه فرنسا وسجونها الرهيبة.

وقد نوه عن ذلك في مقدمة كتابه: علي بن الجهم حياته وشعره، والذي نشرته في طبعته الأولى دار المعارف في مصر حيث يقول:

ودفعني البيتان وما أشاعا حولهما من جو عبق بطيوب الرجولة والبطولة إلى البحث عن قائلها والاستزادة من شعره... وكنت كلما أوغلت فيه ازداد إعجابي بالشاعر، وعجبي من أن يبقى مغمورا طوال هذه القرون مع أنه عاش في عصر أمّتنا الذهبي...

ودارت السنون دورتها؛ وعنّي لي أن أتقدم إلى جامعة القاهرة برسالة جامعية، وكان علي أن أختار موضوعا لبحثي؛ فعاودني الشوق القديم، ولم أجد شخصية أحظى عندي، ولا أقرب إلى نفسي من شخصية علي بن الجهم، فاتخذت من حياته وشعره موضوعا للرسالة.



شعر الدعوة الإسلامية

في العصر العباسي الأول

محمّد دقنة، دةنة دةنة دةنة
درة دةنة دةنة دةنة
درة دةنة دةنة دةنة

درة دةنة دةنة دةنة
درة دةنة دةنة دةنة

درة دةنة دةنة دةنة
درة دةنة دةنة دةنة

٢

ولقد كان لصدور هذه الأسفار من الموسوعة أثر ملموس في تغير بعض المسلمات الأدبية الخاطئة عن الشعر الإسلامي، ولا سيما في عصر النبوة والخلفاء الراشدين...

فلقد كتبت الدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ مقالا نشر بالأهرام في عدد يوم الجمعة الواقع في (١٣٩٥/٧/٣) هـ، الموافق (١٩٧٥/٧/١١ م) بعنوان: الإسلام والشعر والمستوى الفني لشعر الصحابة، وذلك بمناسبة الرسالة التي أعدها تحت إشرافها الأستاذ محمد الراوندي المحاضر بدار الحديث الحسنية بالرباط بعنوان: الصحابة الشعراء، حيث نقلت فيها فقرًا من مقدمة الجزء الأول من موسوعة أدب الدعوة الإسلامية في عصر النبوة والخلفاء الراشدين، وقررت أن الجهود الجدية قلبت المسلمات الأدبية السابقة قلبًا؛ إذ كان الدارسون -وهي منهم- يقيمون أحكامهم على حصر شعراء الدعوة بما لا يزيد عن أصابع اليدين عددًا.

كما كان لهذه الأسفار أثر في إعداد الدراسات الجامعية حول هذا الأدب، حيث سجلت في جامعات الأزهر، والقاهرة، وبغداد، والرباط طائفة من البحوث حول هذا الأدب لنيل درجة الماجستير والدكتوراه. وذلك بعد أن غدا هذا الأدب مجموعًا موضوعًا بين أيدي الدارسين.

٣- شعر الدعوة الإسلامية في العصر العباسي الأول. إعداد عبد الله عبد الرحمن الجعيثي ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م.

٤- شعر الدعوة الإسلامية في العصر العباسي الثاني. إعداد عائض بنية الرادادي ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م.

٥- شعر الدعوة الإسلامية في العصر العباسي الثالث. إعداد محمد بن علي الصامل، وعبد الله بن صالح العريني ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

هذا في مجال الشعر، أما في مجال النثر، فقد صدرت القصص الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين في مجلدين اثنين كبيرين؛ أربى عدد صفحاتهما على الألف. إعداد: أحمد بن حافظ الحكمي ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م.

وقد حظيت هذه الأسفار الستة التي صدرت من هذه الموسوعة بإعجاب وتقدير كثير من الأدباء والمفكرين في أرجاء العالم الإسلامي.

أثر موسوعة أدب الدعوة الإسلامية في الأدباء والمفكرين؛

ولم يكن غريبًا أن تلقى تلك الأسفار من موسوعة أدب الدعوة الإسلامية ما لقيته من حفاوة؛ ذلك لأنها سدت ثغرة كبيرة في حياتنا الأدبية ظلت تنتظر من يسدها أمدًا طويلًا، وقدمت للقراء والباحثين آثارًا ظلوا يفتقدونها ويرجونها زمنًا بعيدًا.



الإسلامي أن تقف على أرض صلبة قوية، وأنشئ على أثرها أول قسم خاص بها في العالم الإسلامي.

وقد نوه عن ذلك الأستاذ محمد حسن بريغش حيث قال: لقد كان في عمله هذا واسع النظرة، قوي الخطوة، صادق العزيمة، لأنه يؤمن - كما قال في كتابه نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد: إنها مسؤولية كبرى يلقيها الإسلام على عاتق الأدباء، وإشارة ضخمة إلى مهمة الأديب الإسلامي في بناء المجتمع: فأسلات الأقلام في هذا الدين كشفرات السيوف...

وكل أديب يستحق هذا اللقب بجدارة يقف على ثغر من ثغور الإسلام.

فإذا عرفنا أن الإسلام والمسلمين في معركة دائمة، وأن على كل مسلم نصيبه من الجهاد والبناء، أدركنا قيمة الأدب في حياة المسلمين، وأهميته في بناء المجتمع المسلم... وعلى هذا فليس الأدب نافذة في الحياة، وإنما هو عنصر من عناصرها الأصيلة الثابتة، وليس الأدباء بسكان الأبراج العاجية، وإنما هم حملة السلاح في المعركة.

«شهادة أبي الحسن الندوي في الباشا»

وقد عبر عن ذلك سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي في التقديم الذي كتبه لكتاب نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد - في طبعته الجديدة التي أصدرتها دار الأدب الإسلامي بعد وفاة المؤلف - رحمه الله - حيث قال:

«إن هذا الكتاب، يرشد إلى الطريق الذي يجب أن يسير عليه الأدباء الإسلاميون، وهو مجهود أساسي، وقد صدرت بعد ذلك كتب وتستصدر كتب أخرى، ولكن فضل المتقدم والمبدع في الأدب فضل لا ينسى». كما أشار سماحته إلى أن الدكتور عبد الرحمن: «كان ممن يتصف بالعمل والتطبيق، فلم يستجب

وكانت أمنيته - رحمه الله - أن تجند الجهود لاستكمال هذه الموسوعة لتشمل جميع العصور والفنون، وهو عمل جليل كبير يحتاج إلى من يكمله.

«الأدب اليتيم»

هذا، وقد عمل الدكتور الباشا - رحمه الله - على توسيع نطاق التعريف بهذا (الأدب اليتيم) كما كان يطلق عليه في بعض المناسبات، وذلك من خلال برنامج إذاعي سجلت حلقاته الأولى في شهر ربيع الآخر عام (١٢٩٥ هـ / ١٩٧٥ م) وبثته إذاعة الرياض، وقد أربى عدد حلقاته على (٢٤٠) حلقة



في مشواره بصحاحي الرياض
الشيخ أبيه في المأهله المهيمن

تحت اسم: مع أدب الدعوة الإسلامية.

«عمله في تأسيس قسم منهج الأدب الإسلامي بجامعة الإمام»

وقد قام - رحمه الله - بعمل غير مسبوق، رسم فيه حسب القواعد العلمية الحديثة منهجا إسلاميا متكامل الأركان في الأدب والنقد، وعمل على إرساء قواعده، وتبنت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية هذه الفكرة الرائدة، وأوسعت لها في المحاضرات الجامعية... حتى قيض لمادة منهج الأدب

بدء ما أطلق عليه موسوعة أدب الدعوة الإسلامية، وتمثلت في أعمال ستة موثقة، قام بها كوكبة من شباب كلية اللغة العربية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، خرجت إلى الناس مع نهاية القرن الهجري المنصرم في ثوب قشيب بعد متابعة دقيقة وحرص شديد.

وقد فعل الرجل ما فعل دون جلبة أو ضوضاء أو جلجلة إعلانية، فكنا نرى طحنا وفيرا دون أن نسمع جعجعة صارخة مما تعودها الناس... فالرجل مع ذلاقة لسانه لم يكن ثرائرا في كل ناد يخطب، وهو

لهذه الفكرة استجابة فكرية فحسب، بل سبق إلى تنفيذها وتجسيدها خلال تدريسه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وإشرافه على البحوث الأدبية... ثم تطورت آماله عندما أسهم في تأسيس رابطة تعنى بهذا الموضوع....».

عمل الباشا في التأسيس لرابطة الأدب الإسلامي؛

لقد مر إنشاء هذه المنظمة التي دعيت (رابطة الأدب الإسلامي العالمية) بمراحل عديدة؛ كان أهمها ذلك الاجتماع الذي عقد في منزل الدكتور الباشا في مدينة الرياض عام ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، والذي ضم لفيضا من العلماء؛ في طليعتهم سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي، وفي هذا الاجتماع تم تكوين هيئة تأسيسية لهذه الرابطة، ووضعت فيه الخطوط العريضة لعقد ندوة عالمية؛ تلم شعث الأدباء في مشرق العالم الإسلامي ومغربه... وهو موضوع شغل بال الدكتور الباشا -رحمه الله- منذ أمد طويل.

ثم كانت الندوة العالمية للأدب الإسلامي في لكنو في شهر ربيع الآخر عام (١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م)، حيث دعي إلى هذه الندوة عدد كبير من الأدباء الإسلاميين، وقد اختير سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي رئيسا للرابطة؛ كما اختير الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا نائبا لرئيسها، وعضوا في مجلس الأمناء، ورئيسا لمكتب البلاد العربية...

وشارك -الدكتور الباشا- أيضا في العديد من الندوات والمؤتمرات، وناقش وأشرف على عدد من رسائل الماجستير والدكتوراه.

تلامذة الباشا يتبعون أثره؛

وقد أسهم تلامذة الباشا في جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية -اتباعا للمنهج الذي رسم، والخطة التي وضع، والتوجيه السديد لخطواتهم- في



في مطار كوالالمبور لحضور إحدى الندوات

مع فصيح بيانه لم يكن من هواة النجومية، وإنما هو عالم بضاعته العلم، وسوقه الرائجة هناك بين مقاعد الدرس وقاعات الجامعة، شأن الذين ينكرون أنفسهم عن اقتناع وقناعة؛ لأنهم يدركون حجم رسالتهم، وخطورة قضيتهم، وجلال عملهم الذي هم به منشغلون.

ومن ثم فلم يترك الباشا مؤلفات يتسابق بها كما وعددا؛ وإنما أنفق معظم وقته وجهده في التوجيه والإشراف والريادة فأعطى لغيره ما حرم منه نفسه،